النقوش الكتابية في كتابة تاريخ الجزائر منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الرابع الميلادي
مدينة قسنطينة نموذجًا

جهيدة مهنتل

تعد مدينة قسنطينة التي تقع شرق الجزائر ميدانًا خصبًا للنقوش الكتابية المكتشفة بها، والتي تعكس صورة مجتمع المدينة القديمة منذ نهاية القرن الثالث ق.م. حسب ما أوردته المصادر والكتابات إلى نهاية القرن الرابع الميلادي. وهو تاريخ آخر نقش كتابي اكتشف بها. وترتبط دراسة هذه النقوش بثقافة المدينة؛ فهي المرآة التي نستطيع من خلالها تصور مجتمعها القديم. ويمكننا تقسيم هذه النقوش الكتابية إلى فترتين رئيسيتين، وهما تاريخ الفترة النوميدية وتاريخ الفترة الرومانية. وهو تواصل زمني هامٌ يميز المدينة عن بقية المدن الأخرى.

وقد أظهرت هذه النقوش المدينة دومًا في شكل مدينة متطورة، تعايشت فيها فئات مختلفة عبر فترة طويلة لم تنقطع خلال هذا الاستمرار الحضاري الذي كان يتغير شكله فقط من شكل بوني إلى شكل روماني. وكان هذا التغير يدخل في إطار اجتماعي، كما كان تدريجيًّا وبطيئًا بدليل استمرار التحدث بالبونية إلى فترة متأخرة، واستمرار وجود الأسماء البونية، والأسماء الشرقية والإغريقية في مجتمعها خلال الفترة الرومانية.

كل هذه الفئات كانت تحافظ في نفس الوقت على التقاليد النوميدية بالتأكيد التي نراها خاصة في المعتقدات الدينية، فعندما يعبد أحد سكانها حامي وادي امساقا (وادي الرمال حاليًّا) مثلاً، أو حامي المدينة وغيرها من الآلهة التي نقول عنها شعبية، فإنها مؤشرات تدل على وجود روح محلية داخل هذا الاسم اللاتيني. واستمرار الوثنية في أوج انتصار المسيحية نفهم من خلاله وجود تسامح وتساهل في اعتناق معتقدات مختلفة تبعد عن الأحقاد، في مجتمع مشكل من فئات متعددة، جعلت منها مدينة مميزة.